



عندما وصلت إلى أمريكا في بداية الثمانينات، أخبرني أخ عزيز علي عن رجل يقال عنه أنه من دعاة المسلمين. قال لي أنه لا يأتي إلى صلاة الجمعة إلا إذا كان قائماً واعظاً أمراً ناهياً على المنبر، إنه من تجار الدين والمنابر. سمعت من صديقي ولم أصدق في حينها، لأنني لم أتصور في ذلك العمر أن يصل أحداً إلى درجة من النفاق والنذالة فيتاجر بدين الله من أجل غرض دنيوي ووقفة على المنبر، حتى رأيت ذلك بأم عيني مرات ومرات. فالرؤيا بالعين خير دليل.

لقد قيل، ستبدي لك الأيام ما كنت جاهله. ودارت عربة الزمن، وتدحرجت الأفكار، وفجعت الأيام على معارج الطريق، ورأيت الكثير حتى انجل نسيج رأسي واستعلت ذوائبه.

رأيت مهرجاً أحب ما عليه أن ينطئ على منابر المساجد والمنصات قائماً خطاباً، وهو من الكاذبين المنافقين الغدارين الخادعين المراوغين، ذو لسان طويل في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضًا ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبونَ^{١٠} البقرة: ١٠. إنه من مجاني المنشة.

وآخر لا يأتي للمسجد إلا لإعطاء الدروس والمحاضرات وإلقاء الخطاب والكاميرا تسجل على الإنترنط. إنها فتنـة الكاميرا والمنصة ... إنه جنون الكاميرا في عصر الإنترنط. ولو سمعت خطبـته لظننت أنه نبي مرسل. كلامـه في واد وأفعالـه في واد آخر. فالمنصة والكاميرا والإـنترنـط أدـاة فـعـالـة لـجـذـب اـنـتـبـاه النـاس وـلـحـصـول عـلـى الشـهـرـة وـلـاحـترـام بـيـن الـأـمـصـارـ. هي مـحـبـوـة مـن تـتـوق نـفـسـه لـلـتـأـلـقـ. إنـها هـيـام يـؤـرـقـ المـنـامـ. إنه حـبـ الـظـهـور لـإـشـبـاعـ مـرـضـ فيـ الصـدـورـ.

لقد شعـشـع مـرـض سـلـطـان زـمـانـ فيـ بـلـادـ الـأـمـرـيـكـانـ. هـرـبـ الـمـهـاجـرـينـ مـنـ فـرـاعـنـةـ أـوـطـانـهـمـ وـهـمـ يـحـمـلـونـ دـاءـ ظـهـورـ السـلـطـانـ أـمـامـ الـحـاشـيـةـ بـيـنـ طـيـاتـهـ إـلـىـ مـوـطـنـهـ الـجـدـيدـ. يـطـبـقـونـ مـاـ لـاـ يـطـيـقـونـ وـيـقـولـونـ مـاـ لـاـ يـفـعـلـونـ يـخـفـونـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ مـاـ لـاـ يـبـدـوـنـ لـكـ^{١١} سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ: ١٥٤ـ. لـقـدـ بـدـأـتـ تـسـقـطـ الـدـكـتـاتـوـرـيـاتـ فـيـ بـلـادـهـمـ الـتـيـ هـاجـرـواـ مـنـهـاـ، وـلـكـنـهـمـ مـازـالـواـ يـطـبـقـونـهـاـ فـيـ بـلـادـ الـحـرـيـاتـ الـتـيـ هـرـبـواـ إـلـيـهـاـ. يـقـولـ الـفـيـلـيـسـوـفـ هـوـثـرـوـنـ: "لـاـ يـمـكـنـ لـشـخـصـ خـلـالـ فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ أـنـ يـلـبـسـ وـجـهـيـنـ مـتـنـاقـضـيـنـ،

واحد لنفسه وأخر للناس، إلا واحتار أيهما وجهه الحقيقي". فالأنبياء لم تأتي من أجل تزيين المساجد وأماكن العبادة، بل لبناء القلوب وتطهير النفوس، حتى يكون العمل خالصاً لله.

لقد وجد من خلال تجربة سجن ستانفورد (راجع مقالة عقدة فرعون) أن نفسية الإنسان ذو القيم قد تتغير عندما يستلم منصباً، ويعمل ذلك لأن المسألة تصبح شخصية بينه وبين الآخرين الذين يعارضونه. فالضغط الاجتماعي قد يجعل من الإنسان الجيد يفعل أشياء سيئة من أجل المحافظة على مظهره الاجتماعي أمام الآخرين. مما قد يؤدي بالناس الجيدين عندما يتولون منصباً ما، أن تظهر منهم حماقات غير متوقعة من خلال معرفة سلوكهم بالسابق. فالضغط الاجتماعي ليحافظ الفرد على مستوى الاجتماعي أمام الناس قد يدخله في سلوك بعيداً عن القيم الإنسانية (فسرروا منه إلا قليلاً منهم).

هناك خطوط متشابه بين مجنون ليلي ومجنون المنصة والكاميرا، فال الأول جاهل صادق، والثاني ذو علم منافق. وكلاهما شقي وراء صرح بناء من الخيال وهو يحلم بأوهام محبوبته. إن للجنون فنون، فالمحاجنين تشدق وراء صرح تبنيه من الخيال بدون ضابط. كلاهما يعيش على أوهام خيال محبوبته. فال الأول جرى وراء خيال ليلي، والثاني مازال يجري وراء خيال المنصة **يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَفَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** النور:39. الأول أنكر ليلي عندما رأها على حقيقتها، والثاني نكره الصادقين من الناس عندما عرفوه على حقيقته. (وهنا يجدر الذكر أن العباقة تشدق وراء صرح من الخيال تبنيه بضابط).

وآخر لا يحضر مجلساً فيه عملاً لله تعالى إلا إذا دعي لمقعد في صدر المجلس أو قائماً واعظاً على المنصة **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ إِلَهٌ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** الجن:18. المشكلة أن هؤلاء الذين يقفون على المنصة لا يشعرون بنفاقهم فيتكلمون بأحسن ما عندهم، وعندما ينزلون منها يفعلون ما يحلوا لهم.

طبعاً، لا ينجو من هذا المرض العقيم إلا من طلق شهوات الدنيا وطلق طلابها، ولا يهمه ما يقوله الناس عنه سواء في حضرته أو في غيبته. فالواثق من نفسه لا يبالي بآراء الآخرين ولا يهمه إرضائهم، فوائق الخطوة يمشي ملكاً.

وآخر كنت أحسبه من الصالحين، وبعد تجارب طويلة تبين لي أنه سيداً للمنافقين والخادعين. يبيع ويشتري بدينه وربه وأقربائه وأصدقائه المقربين من أجل دقائق على المنصة، مما أرداني في كابة لأيام من وقع ما رأيت منه، إنه عضو في مافيا المنصة. فله لسان على المنبر رنان، وحفظ لكلام الصالحين طنان، وغاية في صدره لا يعلمها إلا العليم المنان، إنه بتجارة الدين فنان **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ** محمد:29، وفي الحديث: {من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلم إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة}. يقول أدولف هتلر: "أصنع الكذبة كبيرة، وأصنعها بشكل بسيط، ورددتها دائماً، وسيقتن بها الناس بعد حين". إنه رجل عديم الإخلاص. فالذى لا يخلص مع الناس، لن يخلص مع الله.

وآخر يقول بأنه سيجمع شمل الجالية من أجل عمل خيري لجمع التبرعات لبلده المنكوب، ولكنه يروغ كما يروغ الثعلب، فيقرب ويبعد ويحذف ويقدم ويلعب ويكتذب. انتحرت القيم والأخلاق عنده من أجل مقصده وما تكن نفسه، إنه يستحق لقب سيد الثعالب وزعيم المراوغين. يقف في أول اجتماع ويفرض نفسه أمام المجتمعين ويقول بأنه سيكون المتحدث الأول القائم القائل المقدم للحفل على المنصة، ثم يدعو أباء من فوق المنصة ليتكلم على المنصة، إنها مسرحية "مافيا المنصة". أضاع جهده فداءً للمنصة. إنها فتنة المنصة. يقول أينشتاين: "الإنسان الذي لا يتبع الحق بجدية في الأشياء الصغيرة، لا يمكن أن يثق به في الأشياء الكبيرة أبداً". **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** هود:15

المصادر: